البداهة وموهبة الاختراع ، والتقدير المددى والإلهام

ولا شك بعد هذا كله فى أن النهج الرياضى هو أوثق المناهج فى استقرار النتائج . وكم ذا يود الفكر الخالص أن يحظى فى شتى ميادينه بوثاقة الرياضة لولا القيود والحدود التى تعترضه وإن كان يجد ويسعى مخلصاً فى التغلب عليها والوصول إلى هدفه السامى

والرياضة إذن « قاسم مشترك أعظم » بين جميع المعارف . بل هى لغة مشتركة langage commode ووظيفتها الكبرى هى احتمال معانى الألفاظ الوجودية والتفكيرية معاً ، والارتفاع بها من المثقلات المادية ، والأوشاب والأوضار التى طالما عوقت ركب المفكرين من سعادة الدارين

والأمل اليوم معقود على « التلباثى » لتكون لغة الجميع حيث تصفو النفوس ، وتخلص من غواشيها ، وتتحقق أحلام فيثاغورس يوم قال « العالم عدد ونغم » . وهل ينشد المصلحون إلا العدالة بين الناس ليكون فى المساواة كالأعداد ؟ وهل ينشد المربون إلا المحبة التى هى انسجام وتوافق كما هو فى الأنغام ؟ ، وهل يكون هذا إلا بالتربية الرياضية والاستقامة على نهجها ، وليس بعزيز على الله أن تكون هذه « الأعداد والأنغام » .. لغة المستقبل

(انتهى البحث) محمد محمود زيتون

شخصية

للأستاذ حبيب الزحلاوى

يلتزم أكثر الناس ، أثناء أحاديثهم ، كلمة واحدة أو جملة تجرى على ألسنتهم مجرى العادة تسمى لازمة ، وهذه اللازمة إما أن تكون خفيفة تنساب مع الحديث انسياب الكلمة الحشو فى بيت من الشعر لا يلتفت إليها سوى الذواقة العارف بفنون القريض ، أو تقع فى غير موقعها فتصك السمع ، وقل من الناس من سلم حديثه من لازمة واحدة أو أكثر

من هؤلاء « الالتزاميين » صديق يختلف فى لازمته من جميع الناس لأنه شاعر ، والمفروض فى الشعراء أن تكون لازمتهم شعرية ذات معنى ورمز وجرس . لذلك نرى شاعرنا هذا يلتزم بيتاً واحداً من لامية ابن الوردى المشهورة يردده فى كل مناسبة على خلاف الشعراء الذين يفترصون كل فرصة للاستشهاد ببيت لشاعر قديم أو مخضرم أو حديث يناسب الموضوع يدللون به على قوة حافظتهم ، ومضاء ذاكرتهم ، وسعة اطلاعهم ، أما التزام هذا الشاعر بيتاً واحداً لا يتبدل ، فله دلالة نفسية سينقشع عنها اللثام خلال الحديث

ومن الظريف فى شاعرنا أنه يبدأ فى إنشاد الصدر من البيت: « لا تقل أصلى وفصلى أبداً » ويسكت هنيهة كأنه يحرض ذهن السامع على إتمامه ، والويل لمن يتلكأ فى رد الصدر على العجز فيقول : « إنما أصل الفتى ما قد حصل » لأنه سيكون حتماً من البلهاء

طاب لأحد الظرفاء من أصحاب الشاعر ، وكنا ندعوه « شاعر العرب والإسلام » أو « حسان الثورة » أن يكنيه كنية تطابق لازمته الوردية فكناه « حصل أفندى » . ومن عجب أن غاض اسم الشاعر بموته واندثر ، وانتشرت الكنية المستحدثة وذاع اللقب الجديد بين جميع المشتغلين بالقضية العربية من ساسة وثوار

* * *

شخصية « حصل أفندى » كما أراها اليوم ، فريدة فى بابها بل هو قريع دهره وواحد هذا العصر ، يجمع بين جميع الصفات والمزايا ، والغرائز والملكات وأضدادها كلها ولكن كفته إلى اليسار هى الراجحة دائماً !

ترى البشاشة فى محياه يعلوها الاكفهرار والتجهم ، إن هش ورحب بدا نابه وظفره ، وإن نظر وحدق اختلطت عليك معانى تلك النظرات ووجب عليك الاستعاذة بمن لا يستعاذ بسواه على أصحاب النظرة المختلطة . يصاحب كل الناس وفى صدره حزة من كل الناس ، مودته مدخولة ، ظاهر اللين ، مماحل مداور مخادع ، يوهمك أنه يخزى ، ولكنه فى الحقيقة لا يندى له جبين ، ولا يحمر له خد أو أذن ، يلبس ثياب التقوى ومسوح الزهد ، ولا يتورع من اقتحام بيوت المدلس

واقتراف الإثم والرذيلة ، بحال الحرمات مراء ، ويتزندق ليقال إنه من زهرة أبناء العصر الحديث

يتعالم كالطفل ، ويتواضع باستكانة ، ويتماكر بحمق ، ويتظرف بسماجة ؛ ولكنه داهية داهية، ولئيم لئيم

تراه فى كل ناد ومجتمع وحزب ، فى الأفراح والمآتم ، يصفق للخير ويطرب للشر ، يفغر فاه لكل طعام من كل مائدة، ويكرع ما يتبقى فى الأكواب ، ولسانه كأضراسه لا يفتر من اللوك والطحن ، والمضغ والابتلاع

قد لا تعلم ، مهما أوتيت من ذكاء وقوة استلماح ، متى يتجافى الحق ، ولا كيف يرتجل الزور . تعجزك ملامحه ، وتخونك فراستك فى وجهه الكثير القسمات النابئة ، والأخاديد الغائرة ، وفى غموض فى سحنته ومواتٍ لونها ، وهو تدير على إدماج الجد بالهزل ، والمزاح بالرصانة

يتغابى كالأخرق ، ويتبالد كأنه أعمى البصيرة ، لا يتكدر ولا يغضب ، ولا يرتج عليه الكلام لأنه ذكى لامع الذكاء . وهو فى جملته خلط ملط كما يقول أصحاب الأمثال

يوهمك أنه كتوم للسر ، صائن للخبر ، ولكنه عقرب وشاية ، وأفعوان سعاية ، رسول سوء وفساد ، وزارع عداوات وبغضاء

قلت إن شخصية « حصل أفندى » تجمع بين جميع الخلائق وأضدادها ، وإليك الوجه القابل للوجه الأول

عرفنا — منذ عرفناه — أنه من خاصة أوائل الرجال الذين بذروا بذور الوطنية فى صدور الأمة التى استكانت دهراً طويلاً لحكم الأتراك ، وفى مقدمة الرجال العاملين فى الأحزاب العربية التى كانت تضمهم غاية واحدة ، وأن تظاهرهم آنذاك بالتفرق والتحزب والتشيع ، يعمل هذا الحزب مع الفرنسيين ، وذاك مع الألمان أو الإنجليز ، لم يكن سوى خدعة ووسيلة للاستعانة بهؤلاء الأقوياء على الخلاص من حكم الأتراك الأقوياء الأشرار ، ولكن غايتهم ومرمى سعيهم كان منصبا على نيل الاستقلال ، وإعادة تأليف دولة عربية إسلامية تسير فى موا كب الحياة مع الشعوب الحرة

ثم عرفناه يحارب بقلمه السيال ، ولسانه الطلق ، وبيانه الواضح فى كل ميدان من ميادين استنهاض الهمم ، ونفض غبار الخمول ، واستثارة النفوس ، وإذكاء النخوة العربية

ثم رأيناه يحبس لسانه عن الخطابة، وقلمه عن الكتابة، وقد استبدل بها بندقية وراح مع الثوار فى ميادين حماه ، وجبال حوران، ومع أشاوس الدروز وأبطال منطقة الغوطة يقتنص ضباط جيوش المحتلين ، ولم يرم جنديا من الجنود المرتزقة أو من أبناء المستعمرات إلا فيما ندر

لقد كانت له مواقع مشهورة ، وحكايات فى البطولة ، ومعلقات فى المغامرات ، وكان برغم نشاطه العجيب ، وقفه الغدارة ، لا يتخلف عن مجالس الساسة ، ولا ينى عن درس أمور الوطن وتطوراته ، وإبداء الآراء السديدة ؛ ووضع رسوم الخطط مع الزعماء ، غير أنه لما انطفأت نيران الثورة الكبرى التى تأججت سنة ١٩٢٥ من جراء اختصام الزعماء على الرياسة واقتتالهم على المال الذى تبرع به كرام المصريين والأسخياء من أبناء سورية ولبنان فى المهجر إعانة للثوار ، تحولت فوهات بنادق بعضهم إلى صدور بعضهم الآخر بعد أن كانت مسددة إلى صدور الأعداء.. أقول ما كادت تنطفئ نيران الثورة وتتفرق جماعات الثوار حتى انكفأ الزعماء والقادة متخاذلين ، منهم من يمم دمشق فى أعناقهم محارم الاستسلام للناصب المحتل ، ومنهم من لاذ بمصر موئل الأحرار وحصن المجاهدين ، يضمدون جراحهم ، ويلمون شعثهم ، ويوحدون صفوفهم ، ويوفقون بين أحزابهم التى كانت فى الأصل حزبا واحدا، يستأنفون جهادهم . ومن عجب أن « حصل أفندى » لم يكن مع الجماعة التى لاذت بمصر ، بل راح مع من راحوا إلى دمشق يجرع ذل الاحتلال ويقب من صلف الفرنسيين أتراك الغرب

* * *

التأمت جراحات العرب الأحرار اللائذين بمصر فعاد إليهم نشاطهم ، وتوفرت حيويتهم ، وعلا صوتهم يدوى فى المجامع والصحف ، وما تم أن أرهف العالم أذنه من جديد بسمع شكاوى هذا الشعب العربى العجيب المتوافرة فيه خصائص العظمة والسؤدد من ناحية؛ وعناصر الاستسلام والخضوع للأمر الواقع من ناحية أخرى. شكاوى فيها ترانيم للحياة ، وأناشيد للحرية،

ومطالبة بالحق المغتصب ، وزغردة للثورة ، وتهديد بفصل وتطهير الأمة التي تلوثت بالاحتلال بدماء المحتلين ، ومن عجب ، بل من سخرية القدر أننا كنا لنسمع أصواتا منبعثة من دمشق ينعب أصحابها كغراب البين يندبون العرب والعروبة . يلمزون بهم ما هم منه براء ، وينادون بالاستسلام للأمر الواقع ، والطاعة الشرعية لولى الأمر والخضوع له وإن كان دخيلا . وقد صار لزاما على الأحرار المقيمين بمصر أن يحاربوا في ميدانين ، ويقاتلوا عدوين ، الأول مغتصب عات هو الفرنسي المستعمر ، والثاني سوري من أبناء الوطن ضالع مع المحتل، يرى ويسمع ويتكلم بعين وأذن ولسان المحتل الذي أفسد الأخلاق والضمائر ، واستعبد الأقلام والألسنة بالمال والشهوات

في هذه الفترة من القلق والاضطراب ، في هذه الآونة الحرجة في حياة أمة رامت النجاة من براثن الذئب فوقعت في مخالب لبؤة جائعة جشعة ، في هذه الحقبة التي هي في حكم الضائع من أعمار الأمم ، في هذه الفترة برز شخص « حصل أفندي » في مصر كنبتة شيطان أو كفطر شق أرضا رواها الندى ودفعها التعفن !!!

ومن عجب أن الذهن الشامي المفطور على الذكاء اللامع والسذاجة الصافية ، انطمس ذكاؤه وانطفأ نوره وبدت فيه السذاجة بأجلى مظاهرها فرحب بـ « حصل أفندي » « الذي كان ضالا فوجد » وغفل أو نسي أنه تخلف عمدا من ركب أقرانه الأحرار وتدعيم الشام وفي عنقه منديل الاستسلام والعبودية

بل الأعجب والأنكى أن جميع أبواب السياسة فتحت له ، وأن أكثر طوايا الصدور نشرت له بغير ما ظن أو شك أو توجس

لقد كنت واحدا من أولئك الذين خدعتهم أعذار ذلك الفاهية اللسن ، وانطلت عليه تلفيقاته البارعة وتمويهه المتقن ... لقد خفيت حقيقة « حصل أفندي » عن جميع إخوانه وأصدقائه، وأخذ كل منهم ينظر إلى الآخر نظرة فيها الكثير من معاني النفرة المستترة ، والصمت على مضض ، وما لبثنا أن أصبح كل منا يتجنب أصدقاءه الذين وحد بينهم الاعتقال وميادين القتال ، وتدبير المؤامرات ، ووحدة الغاية الوطنية

في صدر كل منا حفيظة ، وتوجس ، وخوف ! لا شك أن هناك شيطانا يوسوس ، وأفعى تنفث سما ، وامرأة خداعة ! ولكن أين هي المرأة والحية والشيطان ؟ وراء أي قناع وتحت أي طيلسان أو عمامة يستترون ؟

مقاتلة المحتلين واجب وطني وشرع مقدس ، ومحاربة المواطنين الذين خنعوا للأمر الواقع ونكصوا عن الجهاد في سبيل الحرية ليست بالحرب الشعواء ، ولكن حرب الشيطان ، حرب الطابور الخامس ، حرب دود الخل ، حرب قتل المعنويات بعقاقير علمية ، حرب صدم شعور الشباب بنصائح شيوخ رجاء ، إنما هي حرب أكثر فتكا من القنابل الذرية ، وأشد وبالا من الجراثيم لأنها تصيب النفوس فترديها ، وتفتك بالأرواح فتميتها

البقية في العدد القادم

حبيب الزحلاوي

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى والطبعة الأولى
للرحلات الثانية من كتاب

رحلات

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر في الباكستان

ثمن الأول ثلاثون قرشا والثاني أربعون قرشا عدا أجرة البريد

والمجلدان يطلبان من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة